

الانسحاب الأميركي من سوريا: لماذا الآن وبهذه الطريقة؟

إذا كان التدخل العسكري الروسي في سوريا شكل نقطة تحوّل في مسار الحرب، فإنّ الانسحاب العسكري الأميركي منها يشكل نقطة تحوّل في مسار الحل والتسوية. الولايات المتحدة دخلت خلسة، على طريقة التسلل الى سوريا تحت ستار القضاء على "داعش"، وانسحبت علنا ومرة واحدة قبل ان تنجز هدفها. لماذا اتخذ الرئيس الأميركي في 20 كانون الاول 2018 قرار الانسحاب من سوريا في هذا التوقيت وبهذه الطريقة، وقرر انسحابا كاملا وسريعا من دون التنسيق مع احد، ومن دون ترتيبات وضمانات مسبقة

الرئيس الأميركي دونالد ترامب هو "رئيس المفاجآت": يفاجئ الجميع من حيث لا يتوقعون، وفي توقيت لا يحتسبونه. في بدايات العام فُجر مفاجأة الانسحاب الأميركي من طرف واحد من الاتفاق النووي الإيراني، ومن ثم مفاجأة تنفيذ قرار نقل السفارة الأميركية الى القدس. في نهاية العام فاجأ الجميع، حلفاء وخصوما، بقرار الانسحاب من سوريا. المفاجأة لم تكن فقط في توقيت القرار وإنما في شكله: انسحاب كامل وسريع من دون تنسيق مع الحلفاء والشركاء في التحالف الدولي ضد "داعش"، ومن دون ترتيبات مسبقة او لاحقة تضمن عدم حصول تداعيات وانهيابات أمنية في "مناطق الانسحاب"، حيث احتفظت الولايات المتحدة بنحو ألفي جندي منتشرين في شرق نهر الفرات، ومنبج شمال شرق حلب، وفي قاعدة التنف في زاوية الحدود السورية - العراقية - الأردنية.

النظام السوري المستفيد الاقوى من الانسحاب الأميركي



الاكرد يشعرون أنهم طعنوا وخذلوا.

عنصر المفاجأة في قرار الانسحاب المباغت من سوريا يكمن اساسا في انه جاء من خارج السياق الأميركي في هذه المرحلة، وغير منسجم مع التأكيدات والمواقف التي صدرت عن مسؤولين أميركيين أكدوا على بقاء القوات الأميركية في سوريا والى امد طويل، وربطوا استمرار هذا الوجود بتحقيق ثلاثة اهداف هي:

- محاربة "داعش" ومنع ظهوره من جديد، وإحاق الهزيمة الكاملة به.

اي من هذه الاهداف لم يتحقق. مع ذلك لم يجد ترامب حرجا في اعلان قراره بالانسحاب من سوريا ووضع موضع التنفيذ الفوري والعاجل. كان راغبا في الانسحاب منذ سنة، لكن كبار مساعديه والمسؤولين في البنتاغون اقنعوه بضرورة البقاء حتى لا يطلق يد روسيا في سوريا، ولا يعطي ايران انتصارا مجانيا، ولا يعرض الحلفاء الاكرد للخطر، خصوصا حتى لا يعاود تنظيم "داعش" ظهوره ونشاطه، ويتم التحقق من نهايته. هذه المرة لم يحاول البنتاغون اقناع ترامب بتجميد او تأجيل قرار الانسحاب من سوريا، لكن كانت استقالة وزير الدفاع جيمس ماتيس كافية لتبيان حجم الاعتراض العاجز عن التأثير في موقف ترامب، ولم تكن المعارضة في الكونغرس حادة ولم يرتفع الا صوت السيناتور الجمهوري لينزي غراهام الذي كان له تعليق مقتضب "بليغ" قال فيه ان اي قرار يتخذه الرئيس بسحب القوات الأميركية من سوريا سيكون خطأ، وان الانسحاب في هذا التوقيت سيكون انتصارا كبيرا لـ "داعش" وايران والرئيس السوري بشار الاسد وروسيا، وسيؤدي الى عواقب مدمرة على المنطقة والعالم، وسيزيد من صعوبة الاستعانة بشركاء في المستقبل للتصدي للاسلام الراديكالي، وستعتبر ايران وغيرها من الاطراف

إيجابي على منحى العلاقات الأميركية - التركية، ويسرّع في عملية اعادة بناء الثقة فيها، وضمن برنامج اكبر لتطوير العلاقات يشمل اقرار بيع منظومة "باتريوت" الأميركية بقيمة 3,5 مليارات دولار الى انقرة، واقرار صفقة مقاتلات "اف-15" الأميركية للجيش التركي، وبحث تسليم المعارض التركي فتح الله غولن بعدما سلمت تركيا في وقت سابق القس الأميركي اندرو برانسون.

3- توسيع مساحة التفاهم والتناغم مع روسيا داخل سوريا وخارجها. هذا الانسحاب رحبت به روسيا واعتبرته عاملا مساعدا ومسهلا في التسوية السياسية، اذا انه يطلق يدها ويعطيها تفويضا غير مععلن ويزيل سببا من اسباب التوتر بين واشنطن وموسكو التي كانت رفعت درجة حملتها على الوجود الأميركي في سوريا في الآونة الاخيرة واعتبرته عامل توتير وتعقيد للوضع والحل.

4- دفع ايران الى مراجعة عاجلة للموقف في ضوء هذا التطور الذي يعلن انسحاب اللاعب الأميركي في مقابل سيطرة اكبر للاعبين التركي والروسي اللذين يسود بينهما التفاهم والتناغم. صحيح ان الانسحاب الأميركي يعد انتصارا ومكسبا لايران التي فتحت امامها باب الحدود العراقية - السورية على مصراعيه، ولم تعد مقيدة بقاعدة التنف ولا بضغوط سياسية تربط الانسحاب الأميركي باليراني. لكن الصحيح ايضا ان ايران يساورها قلق غير مععلن بازاء هذه الخطوة الأميركية التي تفتح، ولو بعد حين، مسألة سحب او انسحاب القوات الإيرانية والمليشيات التابعة لها من سوريا، وفي سياق خطة التسوية الشاملة التي لا تبقى الا القوات الروسية وفي قواعد عسكرية محددة تكتسب شرعية وتمتد الى ما قبل الحرب.

5- اخلاء الأميركيين منطقة شرق الفرات يطلق مرحلة من السباق المحموم لملاء الفراغ الأمني والعسكري في هذه المنطقة بين ثلاثة لاعبين خارجيين: روسيا وتركيا وايران ولاعبين محليين: الاكرد الذين يشكلون الحلقة الاضعف، والنظام السوري الذي يشكل الحلقة الاقوى والمستفيد الارجح من هذه التطورات المتجهة في نهاية المطاف الى تسليمه المناطق الكردية لادارتها وحمايتها، مع مراعاة الهواجس الأمنية التركية والمطالب السياسية الكردية.



الأميركيون حددوا ثلاثة اهداف لم يحققوا ايا منها.

الوحدات التي تقوم القوات الأميركية بتدريبها في سوريا لمكافحة "داعش". ايا تكن اسباب القرار الأميركي، فإن النتائج والتداعيات المترتبة عليه هي الهم واليها تتجه الانظار. هذا التطور مثل تطورات مماثلة (التدخل العسكري الروسي - التدخل العسكري التركي) يُعد نقطة تحوّل في مجرى الازمة السورية التي باتت محصورة ميدانيا في منطقتي الشمال والشرق، ويفضي الى النتائج والمتغيّرات التالية:

1- الطرف المعني مباشرة بالانسحاب الأميركي والخاسر الاول فيه هم اكرد سوريا اللذين يشعرون انهم تلقوا طعنة، وان الحليف الأميركي خدعهم او خذلهم وتخلّى عنهم تاركا لهم ان يتدبروا امورهم ومصيرهم بيدهم. تحققت تحذيرات ونصائح السفير الأميركي السابق في دمشق روبرت فورد الذي كان حذر الاكرد من الرهان على الوجود العسكري الأميركي، متوقعا ان يدبر الأميركيون ظهرهم للاكرد عاجلا أم آجلا. اما النصيحة، فكانت في دعوة الاكرد الى فتح خطوط حوار وتفاهم مع دمشق.

2- تركيا تبدو المستفيدة المباشرة والاولى من هذا الانسحاب الذي يفتح لها باب الدخول الى شرق الفرات، على ان يكون التطور الاسرع في الانسحاب الكردي من منبج بالتزامن مع تفكيك كل نقاط المراقبة الأميركية على حدود سوريا. هذا التطور على ارض سوريا سيكون له اثر

الشريين ذلك دلالة على الضعف الأميركي من الجهود الرامية لاحتواء النفوذ الإيراني. يبدو ان التطورات الميدانية هي التي دفعت ترامب الى سحب سريع للقوات الأميركية من سوريا. هذه التطورات تتعلق بالبداية في استهداف القوات الأميركية عبر عمليات متفرقة، كان آخرها وأشدّها وقعا تلك التي حصلت في مدينة الرقة. لكن التطور الهم، الذي يشكل الدافع المباشر الى هذا القرار، يتعلق بقرار تركيا القيام بعملية عسكرية واسعة في شرق الفرات تستهدف مواقع "وحدات حماية الشعب" الكردية، وهذه العملية اشعلت جدلا في اجتماعات البيت الابيض والبنتاغون ومجلس الامن القومي، حيث اشار ترامب الى ان هجمات تركيا تشكل تهديدا للقوات الأميركية في سوريا، وان احتمالات تعرّض القوات الأميركية لأي ضربات او سقوط قتلى وجرحى في تلك الهجمات سيؤدي الى عمليات أميركية ضد القوات التركية، وبالتالي مواجهة عسكرية بين البلدين.

تضيف المعلومات ان التوصيات التي قدمها البنتاغون هي انسحاب تدريجي للقوات الأميركية، لكن ترامب فضل سحب جميع القوات في اسرع وقت ممكن. والقرار اعلنه بعد مكالمة مع الرئيس التركي رجب طيب اردوغان الذي اشار الى خطط تركيا لشن هجوم ضد الوحدات الكردية في سوريا والعراق، وهي